المشرق

الكرسي الرسولي والطقس اليوناني

الجناب الاديب الفاضل حبيب الزيات

احد ابناء طائفة الروم الكاثوليك الملكيين في دمشق

لم يكن يُظنّ بعد ما ورد في رسالة الاب الاقدس التي اصدرها سنة ١٨٩٤ (١ للتنويه بشرف الكنائس الشرقيّة وتأييد طقوسها وتعزيز حقوقها ولاسيما اليونانيّة منها ان يبقى فريق من طائفة الروم الملكيين خاصّةً يتوهّمون ان الكرسي الرسولي لا يزال طامعاً في تضييع امتيازاتهم يتحيّن غفلةً منهم ليبادر الى خرق عوائدهم توصّلاً بذلك الى ما يضمره من مساواتهم بسائر الطوائف اللاتينيّة. ولذلك لمّا كان الانتخاب الاخير قامت بعض الصحف المتطاولة تدّعي له اغراضاً في النفس زعمت انهُ ساعٍ في تحقيقها عاملٌ سرًّا على انفاذها فصادف ادّعاؤها هذا هوًى في نفوس البعض همتُ لاجله ان اجمع اقوال الاحبار الاعظمين وأسرد احكامهم التي قضوا فيها بوجوب تأييد الطقوس الشرقيّة كما وضعها آباؤها القديسون ونهوا في حينها ان تُمسّ الرسوم والتهذيبات اليونانيّة بتبديل او تعديل. ثم علمتُ ان مثل هذه الاقوال والاحكام على عمومها وتناولها بقيّة الكنائس المشرقيّة قد لا تقنع الاقناع الكافي اذا لم تُعزَّز ببعض الشواهد الخاصّة بدخلة الطائفة المنصوص فيها على نظاماتها وسُننها. فجعلتُ اذ ذاك دأبي التنقيب عن اشباهها اكتفاء بها عن غيرها وحرصتُ دفعاً للتُهمة ومبالغةً في الاحتجاج ان انقلها عن راوٍ لها يكون روميًّا ملكيًّا متحمّساً في طائفيّته متشدّداً في عصبيّته حتى ظفرت

(١ اوّلا: Orientalium dignitas Ecclesiarum

منها بسداد من عوز في كتاب مخطوط من تأليف السيد غريغوريس عطا المشهور دعاهُ « حوض الجداول التاريخيَّة في طائفة الروم الكاثوليكيَّة ». فانهُ بعد ان نقل غالب التمهيد فيهِ من الرسالة العامَّة التي اصدرها البابا بناديكتس الرابع عشر في ٢١ ك ١ سنة ١٧٤٣ (١ قال في اثنائهِ:

« في القرن الثامن عشر سنة ١٧١٦ ارسل السيِّد افتيمس الصيفي الشهير الروم الكاثوليكي مطران صيداء واستفتى الكرسي الرسولي عن بعض رسوم كان يرغب تغييرها من الطقس الرومي فصدر الجواب ان لا يُبتدَع في الطقس الشيء كما يشير الى ذلك البابا بناديكتس في رسالتهِ السابق ذكرها في العدد السادس والعشرين »

ولا يخفى ان الطائفة لذلك العهد لم تكن قد تميَّزت بعد من شقيقتها المنفصلة تميُّزًا تامًّا ولا اجتمعت لها هذه الأُمة التي تتباهى اليوم باستقلالها ومنزلتها وتتباری في المناضلة عن احسابها وتقاليدها. وانما كان ابناؤُها حينئذٍ فئات متفرِّقة في ديار متباينة لا تصل بينهم صلة ولا تجمع كلمتهم جامعة بين اقوام يلحظونهم شزرًا و يوسعونهم ضرًّا بحيث كانوا لا يجسرون على المجاهرة باعتقاد ولا يقوون على دفع ما ينالهم من اذيَّة الاضطهاد. كما يدلّ على ذلك الاعلام الديوانيّ الصادر في تبرئتهم والمدافعة عنهم في المحكمة الشرعيَّة في مدينة صيداء سنة ١١٣٥ للهجرة المدرجة نسختهُ في كتاب « القائد الامين »

فلو كانت رومة قد شاءت يومئذٍ ان تُحدث في الطقس اليوناني جديدًا او تغيّر منهُ قديمًا لاسيما وقد خاطبها في هذا الصدد اشهر احبار الطائفة واوَّل موسس لرهبانيَّتها المخلصيَّة لوجدت المنال في ذلك دانيًا قريبًا وألفت الطريق اليهِ سهلًا رحيبًا دون ان تحذر غضب اقوام يُنذرونها بالشقاق والافتراق او تخشى تطاول صغير تناديها منها مثل الاهرام « ان تقصر عملها على ما يكون في جانب الاحترام » (٢. ولكنها بدلًا من ان تُخطر ذلك في وهمها لم تلبث ان ارسلت تقول في الرسالة المشار اليها في العدد الثالث (٣: « قد قرَّرنا في شأن طقوس وعوائد الروم قرارًا تجب مراعاتهُ قبل كلّ شيء انهُ لم يجز قطّ ولا يجوز ابدًا لايّ كان مهما كانت صفتهُ ومهما بلغت منزلتهُ وأيًّا كان سلطانهُ ولو كان بطريركًا او اسقفًا ان يبتدع فيها بدعةً او يختلق جديدًا من شأنهِ ان

١) بدء هذه الرسالة : Demandatam ٢) الاهرام في مقالتها من الاسكندريَّة في ٩ آب سنة ٩٨

٣) Demandatam § ٤

يُبطل حفظها بالتمام والتدقيق ». وتقول بعد ذلك بقليل: « اننا نتذكر التغييرات التي احدثها في بعض عوائد الكنيسة اليونانيّة هذا الاسقف من تلقاء سلطته الخاصة دون استشارة الكرسي الرسولي ونقضي ببطلانها باسرها آمرين ان تحفظ في المستقبل كل طقوس وعوائد الكنيسة اليونانيّة كما وضعها آباؤها حفظاً كاملاً مطلقاً »

ولم يكتفِ الكرسي الرسولي بهذا القرار الذي كان يمكنهُ لو كان لهُ في نفسهِ أمنيّة يروم قضاءها ان يقتصر على اصدارهِ قولاً ويدع الطائفة حقّ حفظ طقوسها الخاصة ملقياً على عاتق اساقفتها تبعة تغيير رسومها بل شاء عنايةً منهُ بشؤونها وحرصاً على صيانة تقاليدها من كل آفة تبديل يعنّ لرعاتها ان يحتاط فعلاً لانفاذ حكمهِ الذي قضاهُ في إزالة ما طرأ من التغيير على يد رئيس اساقفة صيداء. ويحمل البطريرك وقتئذٍ على اجراء ما حتم بهِ اضطراراً اذا لم يشأ اجراءهُ اختياراً. فأوعز الحبر الاعظم يومئذٍ البابا بناديكتس الثالث عشر الى مجمع الانتشار الايمان فأصدر في ثامن تموز سنة ١٧٢٩ قراراً صادق عليهِ بنفسهِ وجدّدهُ من بعده البابا بناديكتس الرابع عشر واشترط فيهِ على البطريرك المنتخب جديداً انهُ قبل ان تُرسَل لهُ دروع التثبيت يقسم « بان لا يغيّر لا بنفسهِ ولا بيد الذين هم في سلطانه تغييراً ما في طقوس الكنيسة اليونانيّة وعوائدها المحمودة المصادق عليها من لدن الاحبار الرومانيين والمتّبعة عند الروم الكاثوليكيين. وان يصرف كل عنايتهِ و يبذل اقصى جهدهِ لإعادة الرسوم التي بدّلها اقيمس رئيس اساقفة صيداء الى ما كانت عليهِ من قبل »(١)

وهذا الشاهد الاخير وحدهُ كافٍ لإقناع كل متنزّهٍ عن الهوى ان الكرسي الرسولي ما برح منذ جرى الانفصال المشؤوم الى الساعة الحاضرة ساهراً على رعاية الكنيسة اليونانيّة دائباً في حمايتها وصيانة طقوسها مهتمًّا بتأييد امتيازاتها والذبّ عن حقوقها اجلالاً منهُ لقدرها ان تعبث بهِ ايدي الاهواء وتنزيهاً لشرفها ان تبتذلهُ عوامل الاغراض. وقصاراهُ في ذلك استصلاح بنيها الذين انتزعتهم من حضنهِ الابوي مآرب السياسة. واسترجاع خرافها التي نفّرتها عن حظيرتهِ الكاثوليكيّة بعض اطماع الرئاسة وحسبُ المرتاب في ذلك مراجعة رسالة البابا بناديكتس الرابع عشر التي ارسل بجيب

(١) Demandatam § 19

بها في ٢٦ تموز سنة ١٧٥٥ (١ على سؤال القاه على مجمع انتشار الايمان بعض المرسلين في البصرة. فانه قد ضمنها وحدها قرارات اثني عشر حبرًا من قبله وعدد فيها جملة من اعمال الكرسي الرسولي كلها ناطقة بالدفاع عن الطقوس الشرقية عمومًا واليونانية خصوصًا آمرة بالتشدد في حفظها والجري بحسب عوائدها ورسومها دون ادنى تصرف او تبديل. واخص منها بالدفاع عن الطائفة وردّ المطاعن التي طعن بها على طقوسها بعض المنتقدين الغربيين براءته التي خطّها في غرة اذار سنة ١٧٦٥ (٢ وختم بها على الروم الملكيين استعمال الطبعة الجديدة من كتاب الافخولوجيون الذي كان قد أمر بتنقيحه لهم خاصة. ولولا حبّ الاختصار لأوردت منها ما يشهد الشهادة الصادقة بمحبة الكرسي الرسولي للكنيسة اليونانية وعنايته الدائمة بالتنويه بقدرها وتبرئة ساحتها من كل ما يعيبها به بعض ضعفة المؤلفين

لا جرم ان المعتقد في الكرسي الرسولي حبّ الاستيلاء على الكنيسة اليونانية والتدخل في شؤونها الخاصة لهدم اركان طقوسها واستدراج بنيها الى اللاتينية لا يبني معتقده هذا على حجة واهنة تؤيد ما يدّعيه ولا يستند في ما يزعمه الى شواهد حقّقها النظر في الماضي ودلّ عليها البحث في الحاضر. وانما يرتئي ما يرتئيه لمجرّد اوهام سطت على العقول ولغطت بها الافواه يتفشها ذوو الاغراض في صدور المغفلين خدمةً لمآربهم وسعيًا وراء منفعتهم

ومما يعين عليها اعتقاد فريق منهم انّ الروم الملكيين في هذه الديار خلا اخوتهم المنفصلين هم اوحد من يمثل الكنيسة اليونانية فلذلك يسعى الكرسي الرسوليّ جهده في ملاشاة امتيازاتهم ليتوصّل بذلك الى ما يبتغيه من توحيد الطقوس كلها وتغليب اللاتينية عليها بين الطوائف الخاضعة لسلطانه. ولو تعلّم هؤلاء لعلموا ان في الديار الغربية أممٌ يفوقونهم عددًا وعُددًا يتبعون نظيرهم الطقس اليوناني منهم الروثانيون والرومان والبلغار وغيرهم. فلو صحّت المطامع التي تُنسب جهلًا الى الكرسي الرسولي لكان يجب ان تتحقّق قبلًا في جماعتهم وإلّا فكيف يعتقد عاقل ان رومة يتخطّى مثل هؤلاء الشعوب الذين يناهزون ستة ملايين على قرب مُتناوَلهم منها ومَيل بعضهم الى اللاتينية وتعمد الى طائفة لا تكاد تتجاوز مئة وعشرين الفًا لتبتلعها على

(١ اوّلها: Allatæ sunt (٢ تبتدئ بقوله: Ex quo primum

عزّة مأخذها وشدّة تعلّقها بتقاليدها وكونها شقيقةً لطائفة تحبّ استصلاحها. بل ان في رومة نفسها وفي جوارها عدّة اديار وكنائس يونانيّة فكيف يتغاضى الكرسي الرسولي عنها وهي ادنى اليه من حبل الوريد ولا يُبصر الّا هذه الكنائس النائية في تلك الاقطار القاصية. ولذلك كتب البابا لاون التاسع في جوابه البطريرك ميخائيل كرولاريس: « عندنا هنا في رومة وفي ظاهرها عدّة اديار وكنائس يونانيّة لم يتعرّض احد لمسّ تقاليدها وعوائد آبائها بل نحن بالعكس ننصح لها ان تتمسّك بها وننبّهها الى المحافظة عليها. لان الكنيسة الرومانيّة لا تجهل ان اختلاف العوائد حسب اختلاف الازمنة والامكنة لا يكون عقبةً في سبيل خلاص المؤمنين اذا كان الايمان الواحد في المحبة الواحدة الساعية في الخير جهدها يشفع فيهم كلهم عند إله واحد (١) »

وممّا يشهد ايضاً بسلامة الطقس اليوناني في الديار الغربيّة ما ذكره صاحب « حوض الجداول التاريخيّة » حيث قال ما نصّهُ: « في هذا القرن (الثامن عشر) اثبت البابا المذكور (بناديكتس) مجمع زاموشا (Zamosk) وهي مدينة في روسيّة. والمجمع مختصّ بطائفة الروم الروثانيين. فحدّدهُ قائلاً: اننا بتثبيتنا المجمع المذكور لا نريد اصلاً ان نبطل شيئاً من رسومات سلفائنا الاحبار الرومانيين بخصوص طقوس الروم التي يجب ان تستمرّ دائماً على حالها (٢) »

وعلى ذلك فلم يبقَ محلّ لاحد ان يظن الظنون في نيّات رومة في الطائفة بعد ما اثبتناهُ من محبّتها الشديدة للطقوس اليونانيّة وغيرتها الدائمة على حراستها من تسلّط كل بدعة او اختلاف. ومن ثمّ عاد من العبث المحض « ان نحتفظ كل الاحتفاظ بحقوقنا وامتيازاتنا المؤيّدة منها » (٣ في حين انّها احرص منّا على حفظ هذه الحقوق سالمةً من الضياع. وارغب في بقاء هذه الامتيازات معزّزة باشدّ ما يُستطاع. وكل منصف متجرّد عن الهوى يعلم اليوم علم اليقين ان رومة ليست هي بالتي « تعمل يدها على ما يجرّ نفاراً ويجلب شقاقاً » (٣ بل انها الوالدة التي لا تعمل الّا على الوفاق والائتلاف. ولا تسعى إلّا في إصلاح ذات البين وحسم دواعي الخلاف. وقد دلّت سياستها في الشرق

---

١) Lettre à Michel Cérulaire

٢) راجع رسالة البابا بناديكتس الثالث عشر المفتتحة بقولهِ: Apostolatus officium.

٣) الاهرام في مقالتها السابقة الذكر

والغرب . مما انها لا تغفل لحظة عن بذل كل ما في طوقها لاستصلاح بنيها المارقين من طاعتها . الشاردين من حظيرتها . فكيف يعتقد عاقل انها « تعمل بيدها على ما يجر نفاراً ويجلب شقاقاً » بين المعتصمين بحبلها المستظلين بظلها ولاسيما هذه الطائفة الرومية الملكية التي ما برحت موضوع عنايتها الابوية « لا تدخر وسعاً في سبيل ترقيتها ورفع شأنها وابلاغها المقام الذي يضمن لها التوسع والانتشار بما هيأت لها من اسباب النجاح وخصتها به من المنح الحافظة لصبغتها الكاثفة لدوام مزيتها » (١ فضلاً عن ذلك الاحسان الذي ما فتئت تفيضهُ عليها من معين فضلها العميم . وذلك الحنان الذي لبثت تحنو به عليها حنوَ الوالدات على الفطيم

فكانت لها عمًّا لطيفاً ووالداً ورؤوفا وأماً أفرشت فأنامت

فاذا عُرف والحالة هذه ما يكنهُ فؤادها الابوي من المحبة المخلصة للطائفة مع الحرص على رعاية تقاليدها واتباع رسومها حيثما لا تكون هذه التقاليد والرسوم في بعض احوالها ومقتضياتها عقبةً في سبيل نموها وصلاحها . وسداً في وجه تقدمها ونجاحها . لم تبقَ حجة لمنصف عدلٍ مهما كان شديد التعلق بقديمه ان يُنكر عليها حقها في رعاية الانتخاب الذي اندرأت عليها من اجله الصحف المتطاولة بكلام دفعهُ فيها الغضب الأخرق فألقتهُ على عواهنهِ دون تروٍ ولا إمعان . وقد اثبتنا في مقالتنا في البصير (١٢ت٢ سنة ٩٧) ان ليست هذه اوّل مرة شهدت فيها رومة بواسطة قصادها مجمع الانتخاب

وعثرنا اليوم على اثر عن بعض هذه المجامع الملتئمة في القرن الماضي بخطوط مؤلفيهِ انفسهم واختامهم يشهد الشهادة الصريحة بمطابقة ما اثبتناهُ للواقع او يكون حجة جديدة تقطع باثباتهِ وتُعين على تصحيح حقوق الكرسي الرسولي لدى كل مدافع متشبث باهداب الطقس . ونحن نورد ههنا نسخة هذا الاثر عن اصل لهُ محفوظ عند جناب الوجيه ميخائيل افندي السيوفي نذكرهُ برمتهِ نظراً لمكانتهِ التاريخية وكونهِ من جملة الادلة الرومية الملكية التي اشترطنا على نفسنا ايرادها في صدر مقالتنا هذه . وهذا نصهُ بالحرف الواحد :

« المجد لله دائماً

« النعمة الالهية والبركة السموية الحالة على الزمرة الابوسطولية الاطهار في الغرفة

١) البشير العدد ١٢٩٧ في رسالتهِ من دمشق في ٢٤ آب سنة ٩٨

الصهيونيَّة تحلّ وتستقرّ على ذات حضرة اولادنا الروحيين معاف الآباء الحوارنة الموقرين وطغمة الكهنة الورعين والاراخنة المبجلين وباقي لفيف المسيحيين اولاد بيعة الله الكاثوليكيين الموجودين ضمن ابرشية الكرسي الانطاكي والاسكندراني والاورشليمي المكرمين بارك الرب الاله عليهم وعلى اعيالهم وانجالهم وانفسهم واجسادهم وسائر تصرفاتهم باتم البركات السموية آمين

« نعلم محبتكم انهُ اذ كان البارئ تعالى بهذه الايام المباركة المملوءة من الاكدار قد نقل السيد كيريو كير كيرللس البطريرك الانطاكي من هذا العالم الفاني لتلك الاخدار السموية ليهبهُ اكليل سعيهِ الصالح بالكرم السيدي وفرغت كاتدرا الكرسي الانطاكي المقدس من البطريرك المتسلم عكاز رعايتها فلذلك نحن اساقفة هذا الكرسي المقدس من حيث انهُ يخصنا انتخاب البطريرك الشرعي اجتمعنا في دير القديس ماري جاورجيوس الغرب بذواتنا وبالنيابة عن اكليروس وارخندوس ابرشياتنا ورعايانا كلها ثم عن اكليروس الكرسي الانطاكي وارخندوسهِ وباقي رعيتهِ واكليروس وارخندوس رعايا الكرسي الاسكندري والاورشليمي المقدسين. وبعد التوسل الى الروح القدس والابتهال والفحص الشافي والبحث عن كل ما يجب دخلنا كنيسة الدير المذكور في اليوم الحادي والثلاثين من شهر آب سنة ١٧٩٦ لاجل الاقتراع القانوني لانتخاب البطريرك الجديد « بحضور الشهود الشرعيين القانونيين المزينين بالعلم والخبرة الكافية ». واكملنا الاقتراع المقدس بموجب ترتيب القوانين المقدسة فتمّ الاقتراع القانوني الى السيد كيريو كير اغابيوس مطران مدينة صيداء الكلي الطوبى وانتخب بطريركاً للسدة الانطاكية المقدسة انتخاباً شرعياً كنانسياً كاملاً حسب القوانين المقدسة المسكونية المرتبة من الآباء القديسين وجميعنا سلمناهُ عكاز الرعاية وخضعنا لهُ خضوعاً قلبياً. نسألهُ تعالى ان يهبهُ التأييد العلوي ويجعل انتخابهُ هذا المقدس واسطة البركات والنعم السموية والارضية لجميع الرعايا. هذا ما وجب تحريرهُ الان لمحبتكم بعد تجديد البركة عليكم ثانياً وثالثاً

« حرر في ١ شهر ايلول سنة ١٧٩٦ سنة وتسعين وسبعمائة والف

« الحقير في روساء الكهنة: باسيليوس مطران الفرزل والبقاع †. الحقير الخ: يوسف مطران قارا †. اغابيوس مطران دياربكر †. مكاريوس مطران عكا والاراضي

القدسة † . اغناطيوس مطران بيروت † . برثانيوس رئيس اساقفة صور † . بناديكتوس مطران بعلبك †

ولا حاجة الى التنبيه على جلالة هذا الاثر الصادر عن رؤساء الكهنوت انفسهم الصادع بما لا يدع ريبةً في النفس . وموضع الشاهد فيه « حضور الشهود الشرعيين القانونيين » الجامع الملتئمة للانتخاب . وعليه فان كان لم يكن بين عداد هؤلاء الشهود بل في مقدمة جميعهم النائب الرسولي ولا غيره اثبت منهُ حقًا وأجدر صدقًا بادا الشهادة فكيف يسوغ اليوم لكاثوليكيّ صادق المحبة للسدة الرسولية ان يستجيز تأدية هذه الشهادة لنفسه على كونهِ رعيَّةً من اوجب فروضها تلقي نتيجة الانتخاب بالقبول والاذعان ولا يستجيزها للاب الاقدس على كونهِ الراعي الاول الذي يحتاج ان يتحقق قانونية انتخاب من يشاركهُ في الرعاية قبل ان يجيب الى تثبيتهِ ويصدّق على تنصيبه . وإلّا فاين الصدق في هذه المحبة التي تتقاضى ما لها وتأبى ما عليها . أجل لقد حان لهذه الفئة المتسترة باذيال الطقس الجاهلة في يومها ما كان في الامس . ان تطّرح الغرور والخيلاء . وتُخلص الطاعة والانتماء . فقد كفى ما جنتهُ بفعلها من العار . وجرّتهُ بقولها من العثار . وقد قيل كن يهوديًا تامًّا والّا لا تلعب بالتوراة

الرسالة الشهابية في الصناعة الموسيقية

للدكتور ميخائيل مشاقة

اعتنى بضبطها وتصحيحها وتعليق حواشيها الاب لويس رزقال اليسوعي

(تابع لما قبلهُ)

الفصل الرابع

في قسمة الديوان الى ديوانَين متشاكلين

قد عُلم بما تقدم بيانهُ البعد الكائن بين كل برج وبرج على التوالي . فظهر ان الديوان ينقسم الى قسمين متشاكلين احدهما من اليكاه الى الدوكاه والثاني من الرست الى النوى فيكون كل قسم منهما خمسة ابراج لان برجي الرست والدوكاه يتوافقان